اذا شئت . نشوة عارضة كنشوة الخمر . وكونها عارضة ... من فعل الخمر أو بتأثير الحسن لا يمنع أن الشعور الذى تحدثه صادق فى حينه . وقد يلح المرء على نفسه بالايحاء اليها حتى يشعر بما يشعر به العاشق الحقيقى . فيكون شعوره أيضا فى حينه صادقا . ولكن بعد ذلك .. بعد أن يثوب الرشد الذى أضاعه الخمر ، ويرجع الاتزان الذى أفسده منظر الحسن ، أو تعود الحالة الطبيعية التى اضطربت من جراء الايحاء . بعد ذلك يذهب ما جاءت به النشوة الوقتية ، وقد أفادنى علاج نفسى ورياضتها على أن تستغرقها الحالة التى أتمثلها . نعم بقيت عاجزا عن العشق وفى أمان من جنون الحب فان هذه طباع لاحيلة لى فيها ، ولكنى أصبحت بفضل هذه الرياضة أستطيع حين أفكر فى شىء أو أكتب شيئا أو أشغل بأمر أن أذهل عن الدنيا . فلا أسمع ولا أرى ، ولا يستطيع شىء أن يصرفنى عما أنا فيه . . خرجت بفائدة على كل حال . وكثيرا ما ترى الانسان يطلب شيئا فيخطئه ويفوز بغيره . .

فقال « ولكنك محروم وهذا فظيع »

قلت « كلا . أنا على نقيض ذلك سعيد . مستريح من وساوس الحب وبلابله وهواجسه وتخريفه ، وفى وسعى دائما أن أمتع نفسى بالحسن وأنا هادىء الأعصاب مدرك لما أنا فائز به بلا اسراف أو غمط فى التقدير ، ومن غير أن أنغص على نفسى هذه المتع بعد ذلك بالوساوس والخيالات وما الى ذلك مما يكابده المحبون ... وأقول لك الحق إنى أصبحت لا أصدق من يزعم أن حبه على نحو ما يصف الشعراء ومن اليهم . ولا أعتقد إلا أن ذلك نشوة يطيلون عمرها بالايحاء . والايحاء يا صاحبى — الى النفس والى الغير — عامل خطير الاثر فى حياتنا . صدقنى »

قال : « ولكنى جربت »

قلت : « ما أظن بك الا أنك تخدع نفسك . وهذه سنة الانسان أبدا . عد الى نفسك وحلل خوالجك بلا خوف من مواجهة الحقيقة ولا جزع ولا اشفاق . اجعل من نفسك شخصا مستقلا . طبيبا يفحص حالة ولا يعنيه الا ما يهتدى اليه . وانظر ما يكون .. ثم تعال واخبرنى . وأنا واثق أن النتيجة ستكون مطابقة لما حدثتك به عن نفسى »

فوعد أن يفعل . . ولكنه لم يعد إلى

ابراهيم عبد القادر المازنى

فى الأدب المقارن

التفاؤل والتشاؤم

فى الأدبين العربى والانجليزى

للأستاذ فخرى أبو السعود

حب الحياة كائن فى طبيعة كل حى ، والرضى بها والاطمئنان إليها والاقبال عليها شيمة جميع الأحياء ما دامت بنياتهم صحيحة وحاجاتهم حاضرة ، والمرح واللعب غايتهم الأخيرة ما دامت غرائزهم مقضية اللبانات مشبعة المطالب . ولما كان الانسان يمتاز بالخيال والفكر فإن له مطالب نفسية غير مطالب جسده الغريزية ؛ يرضى ويرتاح إذا قضاها ، ويقنط ويكتئب إذا أخطأها ؛ وليس يشكو الحى أو يألم ، وليس يسخط الإنسان أو ينقم ، إلا أن يغدو وهو سقيم الجسم أو محروم الغريزة أو ممنوع المطالب . فحب الحياة والاقبال عليها والرضى عنها هى الحال الطبيعية العادية ، وذم الحياة والعزوف عنها والسخط عليها حال طارئة استثنائية ، نتيجة لامتناع وسائلها وعدم مواتاة أسبابها .

فالمتشائمون قوم قست الحياة عليهم فحرمتهم قليلا أو كثيراً مما حببته سواهم ، فثاروا عليها وكالوا لها قسوة بقسوة ، وجزوها على حيفها بمرير الذم والتفنيد ؛ فلسنا نرى بين المتشائمين الزارين على الحياة والأحياء رجلا صحيح البدن معتدل المزاج مجدوداً واثقاً بنفسه ، بل كلهم ممن أكسبتهم الوراثة والنشأة والبيئة أجساماً معتدلة أو أعصاباً مختلة ، أو ألحت عليهم الخطوب فحطمت مساعيهم ، أو اقتنعوا بعجزهم عن مُصاولة الأحياء فى ميدان الحياة ، فأورثهم ذلك حساً مرهفاً متيقظاً إلى مواطن الشر والقسوة والنقص فى الحياة ، فقعدوا يَبْرُون لها وللمقبلين عليها السهام .

وفى الحياة مواطن للنقص لاتحصى ، يهتدى إليها الناقمون عليها بلا عناء ، وهى تعرض مثالبها عليهم وتضع أصابعهم على نقائصها ؛ بيد أن المتفائل المعافى الجسم الناجع المسعى قلما يلتفت إلى تلك المساوىء ، وإذا التفت إليها فبرهة قصيرة يأسى فيها

ويعتبر ، ثم يعود إلى ماكان فيه من استمراء لمتعات الحياة واجتلاء لمفاتنها ، متعزياً بهذه المفاتن والمتعات عن تلك النقائص والمقابح ، باذلا جهده لتوفير السعادة لنفسه ولمن حوله ، ومحو ما يستطيع من أسباب الشقاء ؛ على حين يظل المتشائم أمام مايروعه من مساوىء الحياة قائماً ، لايريد أن يحوّل بصره إلى سواها ، بل يهوّل تلك المساوىء كما يسول له حسه المرهف وخياله المغرق .

والأدباء وغيرهم من رجال الفنون عادةً أرهفُ حساً وأبعد خيالا ممن عداهم ، وما من أديب إلا تتجسم له مقابح الحياة جهمة مقززة فى فترة من فترات حياته ، فتعافها نفسه ، وينقم عليها وعلى نفسه وعلى الأحياء جميعاً ؛ فأما من كان متفائلا بطبعه معتزاً بنفسه واثقاً من قدرته على خوض وغى الحياة ، فسرعان مايخرج من تلك الغُمَّة وتنتصرفيه دفعة الحياة القاهرة ، فيلتفت إلى ما بالحياة من مباهج بجانب مابها من مآس ، ويطلب العزاء ببعض تلك عن بعض هذه ، ويستنّ لنفسه مثلا أعلى جديداً فى الحياة ؛ وأما المتشائم المحس بوطأة الحياة الثقيلة على جسمه المتعب وأعصابه المنهوكة ونفسه الخائرة ، فيرفض كل عزاء ويأبى كل إيمان ويسخر من كل مثل أعلى

فالفرق الرئيسى بين المتفائل والمتشائم هو أن الأول يرضى العزاء والثانى يرفضه ، والأول يؤمن بمثل أعلى والثانى يأبى الإيمان بشىء ، فالمتشائم يرفض الدين فيما يرفض ، فالتشاؤم والدين ضدان لايلتقيان : التشاؤم إزراء بالحياة وإنكار لجدْواها وتحقير لأبنائها ، والدين يبشر بجدوى الحياة الصالحة ويبث العزاء فى النفوس عن آلام الحياة . وما كانت الديانات الأولى كديانات المصريين والفرس إلا محاولة حاول بها الإنسان أن يفسر ما راعه من تجاور قوى الخير والشر فى الحياة ، وأن يتعزى بجانب الخير عن جانب الشر منها ، أما والتشاؤم هو فقد الإيمان بالحياة ورفض العزاء عن شرورها ، فالتشاؤم والدين نقيضان ، ولا ترى متشائماً إلا يُسِر الإنكار للدين أو يعلنه ، ولا مؤمناً معتصماً بدينه قد هوى فى لهَوات التشاؤم

وليس فقد الإيمان بالحياة ومثلها العليا ـ أوالتشاؤم ـ ينتهى بصاحبه فى كل حالة إلى الإسراف فى رفضها واعتزالها ، بل هو ربما أدى إلى إسراف مناقض لهذا : إسراف فى انتهاب لذاتها القريبة وإشباع الغرائز النهمة منها ، تناسياً لمنغصاتها وتخلصاً من لذعات التفكير فى نقائصها ؛ فالمتشائمون المعتزلون للحياة الناقمون على الأحياء الساخرون من المجتمع ، والمتشائمون المستهترون باللذات المتهكمون بتقاليد المجتمع وأخلاقه ، الخارجون على عرفه المصادمون له فى عقائده ؛ أولئك وهؤلاء سيّان فى التشاؤم ورفض الإيمان والعزاء النفسى ، أو قُلْ هما طرفان متباعدان بينهما الوسط الذى يحتله المتفائلون الراضون بالحياة على علاتها ، المتسلون بنعمائها عن بأسائها فى قصد واعتدال ، المتشبثون ببعض مثلها العليا

على أن المتشائمين أنفسهم لا يَخلُون من عزاء وإن توهموا سوى ذلك ؛ وأشدهم إمعاناً فى التشاؤم لا ينضب من نفسه حب الحياة ، وعزاء أكثرهم هو ذلك الفن الذى يزاولونه ، هو أدبهم الذى يودعونه فلسفتهم المتشائمة وخطراتهم القاتمة ، ففى كتابة أفكارهم تلك راحة لنفوسهم المعذبة وشفاء لغرائزهم الظامئة ؛ ولولا أنهم ما يزالون يحبون الحياة فى صميم أفئدتهم ، على زعم إعلانهم الحرب عليها ، لما لبثوا بساحتها ؛ ولو أنهم يزدرونها ويزدرون أبناءها بقدر ما يزعمون ، لما حفلوا بتدوين آرائهم فيها وعرض تلك الآراء على أبنائها ؛ ففلسفتهم المتشائمة تناقض نفسها بنفسها

فإذا كانت فلسفةٌ تصدق أو تفسيرٌ للحياة يُقبَل ، فليست فلسفة المتشائمين بالتى ترجح وتفسر الحياة ، وليست رسالتهم التى يؤدونها إلى الإنسانية بالتى تُقبَل ، لأن فلسفتهم كما تقدم تناقض نفسها ، وتناقض طبيعة الحياة التى بثت حبها فى جبلات أبنائها ، ومهدت من متعاتها ما يرجح شوائبها ، وزودت بنيها بالسلاح اللازم لهيجائها . ليست فلسفة المتشائمين بالمقبولة فى جملتها ، وإن احتوت فى أطوائها من صائب النظرات وبديع اللفتات وآثار الفكاهة والسخر والوصف والتحليل ما يمتاز به أصحاب ذلك المزاج ، وما يهديهم إليه حسهم المرهف المستوفز وخيالهم المتيقظ المسترسل

وفلسفات المتشائمين فى مختلف الأمم والأجيال متماثلة ، ومواضيعهم متقاربة : إسهاب فى شرح مظاهر تنازع البقاء ، وإطناب فى ذكر لئيم الطباع فى الأحياء وفى الإنسان خاصة ، وإصرار على تذكر الموت وكرور الزمن وحلول البلى ، وتهويل

لضعف الإنسان إزاء جبروت القدر ، وتصوير لنفاق المجتمع وجور أنظمته ، وتحقير للمرأة وموازنة بينها وبين الحياة ؛ وآراؤهم فى كل ذلك مَرَدُّها إلى اضطراب تكوينهم وتزعزع ثقتهم بأنفسهم وحرمانهم من شتى مطالب الحياة ؛ فلسفة المتشائمين لا تدلنا على حقائق الحياة والكون ، بمقدار ما تدلنا على نفوس أصحابها وأمزجتهم وعوامل تكوين أذهانهم

فهم يجزعون لمرآى تنازع البقاء لاحساسهم بأنهم عزّل ضعفاء ، وينحون على المجتمع بقوارع الكلم لأنهم عاجزون عن الانغمار فيه ونيل الحظوة والصدارة به ، ويُذكّرون الناس بالموت والدثور لأن الناس يتمتعون دونهم بالطيبات ، فهم يُسَلُّون أنفسهم بتكرار القول بأن تلك الطيبات عما قليل ذاهبة ، ويخوفون الناس بجبروت القدر لأن غيرهم يتمتعون بالقوة والاقتدار ، فهم يلوحون أمام أعينهم بالقدر الذى يتلاعب بهم ويضحك من تدبيرهم ، ويرمون المرأة بالغدر والتقلب لأنها تنى لغيرهم ، ويجاهرونها بازدرائهم إياها لأنهم يُسِرُّون الاحساس بازدرائها إياهم وإعراضها عنهم .

ولما كان مَرَدُّ المزاج السوداوى المتشائم إلى عوامل فردية محض ، من وراثة أو بيئة ، يظهر المتشائمون فى شتى الأمم والأجيال متفرقين لا اتصال بينهم من مدرسة أو مذهب ؛ على أن مسحة التشاؤم تطغى عادة فى آداب عصور الأدبار السياسى والضيق الاقتصادى والفوضى الخلقية ، فيَسُود الشك والرفض والتهكم المرير ، كما كان الشأن فى الأدب الروسى تحت الحكم القيصرى ؛ كما أن صبغة الايمان والبشر والتفاؤل تغلب فى عصور الرخاء والنجاح والمغامرة ، وهى الصبغة التى سادت الأدب الاغريقى فى عصره الذهبى عقب الانتصار على الفرس . فلما تلا ذلك عهد الادبار ظهر السخر والشك ومذاهب الرفض والاعتزال من جهة ، ومذاهب الاستهتار والاباحية من جهة أخرى

ولعل أشد أدباء الانجليزية نكيرا على الانسان وتهكما بمساعيه وتهوينا لشأنه هو جوناثان سويفت ، وهو أديب نشأ نشأة ضنكة مقلقلة ، ولازمه داء فى أذنه جشمه آلاما مبرحة ، وما زال حتى طغى على عقله فى أواخر حياته ؛ وحالف الاخفاق مطامحه السياسية وصاحب النحس غرامه ، فلم يبق له إلا الانزواء فى عزلته ببعض بلدان أرلندة ، وإلا أن يقول لبعض أصحابه إنه يمقت ذلك الحيوان المسمى الانسان من أعماق قلبه ، وما ذاك إلا لما كابد من عنت الظروف والأمراض ولَدَد الخصومات وغصص الاخفاق ، وهو الذى كان فيما عدا ذلك من أوفى الناس عهدا وأصفاهم ودا ، وهو الذى عطف على الأرلنديين ودافع عنهم ، على حين ناصبهم من قبل ذلك مواطنُه وزميله فى حرفة الأدب ادموند سبنسر . وكتاب سويفت « رحلات جليفر » على ما به من سلاسة وفكاهة وبراعة تصوير ، مملوء بالسخر المرير من الانسانية .

وزعيم التشاؤم فى العصر الحديث توماس هاردى ، الذى كانت أشباح الموت والبلى والقدر لاتبرح ناظريه ، وكان لا يمل تكرار موضوعه الوحيد فى شتى قصائده وقصصه : موضوع ضعف الانتتان وقلة حيلته وعبث مسعاه ، حيال ضربات القدر الأعمى ، ودوران رحى الزمن الطحون ، فكان دائبا يتفنن فى اختراع المواقف المفجعة والظروف المنحوسة ، يتخذ مشاهدها فى المقابر والبرارى وفى الأيام الداجنة الكالحة ، ويطيف أشخاص روايته بين الموتى ، ويُنطق الموتى فى أشعاره . ويغالى فى تصوير فجائع الحب : بين الغدر والسلو والنسيان والغيرة وجفاف الجمال ؛ فأشعاره لا تكاد تنتقل بك من غمة إلا إلى غمة ، ولا من محنة للانسان إلا إلى انتصار وحشى للأقدار عليه

ومعاصره أو خليفته فى هذه النظرة المتشائمة إلى نصيب الإنسانية فى الحياة هو هاوسمان ، الذى كان يحاكيه كثيراً فى اختيار مواضيعه وطريقة معالجتها و إجرائه الحديث فيها بين الأحياء والأموات . ومن نماذج ذلك الضرب من شعر التشاؤم قوله : « — أما برحتْ خيلى تحرث الأرض كعهدى بها ، إذ أناحى أسوقها وأسمع صليل شكائمها ؟ — بَلَى ماتزال تنقل خطاها وشكائمها تصلّ ، ولم يتغير شىء برغم أنك قد رقدت تحت الأرض التى كنت من قبل تحرثها — أو ماتزال الكرة تترامى ويتسابق خلفها الرفاق على شاطىء النهر ، وإن أك لا أستطيع اليوم نهوضاً ؟ — نعم تترامى الكرة بينهم وكلهم باذل فى اللعب جهده ، وذلك مرماهم قائماً وحارسه لاينى — وفتاتى التى شقّ علىّ فراقها ، أسئمتْ البكاء واستطابت طعم الغمض ؟ — نعم هى ناعمة فى خدرها ، فنم أنت وقر — وهل

صديق صحيح معافى وقد نحلتُ أنا وبَليتُ ؟ وهل وَجَدَ بعد فراشى فراشاً وثيراً ؟ — أجل أنا يا صاح لى ضجعة كأرْوَح مايشتهيه الفتى : أسَلّى حبيبة رجل قضَى ، ولا تسألنّى حبيبة مَنْ ،

ومن أمثلة الوراثة المختلة والمزاج السوداوى فى تاريخ الأدب الانجليزى كوپر وبيرون : كلاهما كان مضطرب التكوين اضطراباً أدى إلى ظهور الغرابة فى مسلكيهما وأدبيهما ، على أنهما رغم اتفاقهما فى ذلك كانا يختلفان ثقة بالنفس : كان أولهما ضعيفاً متناهياً فى الخجل ، وكان الثانى مفرطاً فى الزهو والاعتداد بمواهبه ونسبه ، فقنع كوپر بحياة العزلة ولم يعلن على الناس حرباً ، وإن ظهرت أعراض التشاؤم فى كثير من شعره ؛ أما بيرون فصادم المجتمع بمسلكه الخلق كما هاجمه فى شعره ؛ ولما لفَظَهُ المجتمع الانجليزى زاد عتوّا وجرأة ، وتحدياً لخصومه وتشفياً من مؤيدى النظم الاجتماعية التى كان يمقتها . هذا فضلا عما حفلت به آثاره عامة من تصوير لضعف الانسان وقصر مدته وعبث جهوده .

ورمز التشاؤم فى العربية هو ولا شك المعرى ، الذى اجتمع عليه من أسباب التشاؤم مالم يجتمع على غيره : من اعتلال التكوين الجسمى ، واختلال الصحة ، والحرمان من شتى اللذات ، واضطراب العصر الذى عاش فيه ، فجاءت فلسفته مثالا نادراً لفلسفات المفكرين المتشائمين : حقر الإنسان . وأنذر ببطش الأقدار ، وذكر بالموت ، وشك فى الدين ، وأزرى بالمرأة ، وندد بالمجتمع ، وفند الحكام ، وأطنب فى تنازع البقاء ؛ ورثى مع ذلك للإنسان ورأف بالحيوان ، وضاق بنفسه كما ضاق بغيره وحرم على نفسه اللذات وعاش نباتياً ومات عزباً لم يحن على أحد ، وعبر عن نظراته النافذة الحكيمة التى سبق بها عصره ، تعبيراً شعرياً عربياً جزلا ممتعاً ؛ وكان صادقاً صريحاً : اعترف بأنه لم يختر تلك الحياة الضنكة إلا لأن سواها قد شآه . فهو القائل .

ولم أرغب عن اللذات إلا لأن خيارها عنى خنسنه

فقد كان لدقة حسه شديد الحرص على كرامته ، شديد التوقى لمواطن السخر والزراية ، فكان ذلك حائلا بينه وبين ماتصبو إليه غرائزه من متعات ، وكانت حياته معركة طويلة قائمة داخل نفسه ، بين الرغبة فى الاستمتاع ببطيبات الحياة والاصرار على رفضها ، لاستعصاء سبلها على الكفيف المجدور ، إلا أن يبيح كرامته ويهدر حياءه . وما أطار خياله إلى طيبات الفردوس إلا حرمانه من طيبات الحياة وطول نزوع نفسه إليها . وما كان وصفه لمتعات الخلد إلا إرضاء لشهواته المخمدة تحت رماد التوقر والتقشف . وما كان تأليفه رسالة الغفران أو اتخاذه الخلد مسرحا لها إلا تنفيسا عن مكتوم نوازعه ؛ وبفضل هذه النوازع المكبوتة خلّف المعرى الكفيف أثراً من آثار الخيال فريداً فى اللغة ، كان المبصرون من أدباء العربية منصرفين عن مثله

والمعرى نسيج وحده فى التشاؤم فى العربية ، يرفع راية الرفض للحياة والاعتزال لها والازراء عليها ، ويمارس فى حياته ما ينادى به فى أشعاره ، ولا ينضوى تحت تلك الراية سواه : إنما كانت غالبية المتشائمين فى العربية الذين نبذوا الايمان ورفضوا العزاء وهانت عليهم الحياة فلم يجدوها أهلا لسعى ولا لحفاوة ، هم طائفة المتشائمين المستهترين ، الذين ظهروا حين طغت تيارات الترف والمادية والشكوك ، على المجتمع والعقائد فى العهد العباسى كبشار وأصحابه ، وأبى نواس وأضرابه ، أولئك ساقهم تفكيرهم إلى تصغير الحياة وما يقدس الناس من مثلها العليا ، فلم ينبذوا الحياة جملة بل راحوا يطفئون غليل نفوسهم المتحرقة فى لذات الحياة الدنيا ، ويشبعون غرائزهم الحيوانية متهكمين بما عدا ذلك مما يسميه المجتمع فضائل وعظائم وعقائد . وأبو نواس هو القائل :

وما هنأتك الملاهى بمثـــل إماتة مجد وإحياء عار

والقائل :

قلت والكأس على كفـــى تهوى لا لتشامى :
أنا لا أعرف ذاك الـــيوم فى ذاك الزحام

وإنما حرضهم على سلوك تلك السبيل ما كان يسود عصرهم من حرية تقرب من الإباحية ، وما كان يسود المجتمع العربى دائما من صراحة لانظير لها فى المجتمع الإنجليزى ، حيث التقاليد الاجتماعية شديدة الصرامة ، فعلى حين كان يتأتى لبشار وأبى نواس وأضرابهما أن يباشروا وهم معافون حياة الاستهتار التى باشروها ، ويتهكموا بعقائد غيرهم ماشاءوا ، ويترنموا بمخازيهم شعرا ، نرى بيرون الذى لم يَجْرِ إلى مداهم يُلفَظ من المجتمع الانجليزى الذى بَجّله من قبلُ لشعره وحَسَبه

وحياة المعرى وبشار موضع لموازنة ممتعة : كلاهما عاش

كفيفا ، أى مكفوفا إلى مدى بعيد عن كثير من مسرات الحياة ومتعات المبصرين ، فخلقت فيهما تلك الحالُ وحشة وشذوذا وزراية على الحياة والأحياء ، ولكن المعرى كان دقيق الحس مرهف الأعصاب ضعيف البنية ، فنفض يده من الحياة ونجا بالسلامة والكرامة ، وبشار كان مفرط الجسم متنزى الحيوانية مضطرم الشهوة ، فأكب على إشباع شهواته مستهدفا لزراية الآخرين وتهكمهم ، وشهر عليهم سوط لسانه المقذع ، كما يشرع السبع المنهمك فى تمزيق فريسته مخلبه لنبّ غيره من السباع عنها .

تلك مظاهر التشاؤم ، أو فقه الإيمان بسمو الحياة والعزاء النفسى عن شوائبها ، فى الأدبين العربى والإنجليزى ، وفيما عدا ذلك كان أقطاب الأدبين ـ لما يتدفق فى شرايينهم وشرايين أمتيهم من دفعة الحياة ـ متفائلين متشبثين بأهداب المثل العليا التى ترضاها لهم طبائعهم وبيئاتهم ، يَغْبَرُّ لهم وجه الحياة حينا فيبدو أثر ذلك عابسا فى آثارهم ، ثم يجنحون إلى التعزى والإيمان : فملتون فى الإنجليزية مثلا على فرط ما لاقى من خذلان فى حياته الفردية والعامة وما حل به من فقدان البصر ، ظل وطيد الايمان متطلبا للعزاء إلى منتهى حياته ، وكتب ملاحمه فى أواخر أيامه طلبا للترفيه عن نفسه ولكى « يبرر للناس أعمال الله » ؛ والمتنبى فى العربية رغم ما أصاب من إخفاق متوال فى مطلب حياته الأسمى ، الذى « جل أن يسمى » ، ورغم ما كابد من حسد وكيد وعداوة ، وما صب على الناس من قوارص كلمه ، ظل أبدا « من نفسه الكبيرة فى جيش وفى كبرياء ذى سلطان » ، متدرعا متأهبا للجلاد .

وإن يكن هناك مجال للمقابلة ، فالأدب العربى لا شك أكثر اصطباغا بالتفاؤل والايمان ، على كثرة ما به من الشكوى ؛ والأدب الإنجليزى أحفل منه بآثار التشاؤم ، ولاسيما فى العصور الحديثة التى زادت الحياة فيها تعقدا ووطأة ؛ وإنما يبث ذلك التفاؤل فى المجتمع والأدب العربيين أمران : صحو الجو الذى يعدل المزاج ويبعث البشر والطلاقة ، والدين الاسلامى الذى يبث الايمان فى النفوس ويحض على اجتلاء متعات الحياة التى أحل الله ، والذى هو كما تقدم القول أكثر تغلغلا فى سرائر معتنقيه ، وشمولا لجوانب حياتهم من غيره من الأديان .

٨ ـ ١٤ فكرى أبو السعود

ضوء جديد على مأساة شهيرة

هل قتل الحاكم بأمر الله أم اختفى ؟

نظرية الدعاة الدرزيين ومزاعمهم

للأستاذ محمد عبد الله عنان

تتمـــة

تلك هى النظريات والشروح الغريبة التى لجأ إليها الدعاة لتفسير اختفاء الحاكم وغيبته ؛ ولا ريب أن اختفاء الحاكم على هذا النحو الفجائى كان ضربة شديدة للدعاة ؛ فقد كان الحاكم ملاذهم وحاميهم ، وكان شخصه محور دعوتهم وعماد مزاعمهم ؛ فلما اختفى الحاكم انهارت الدعوة فى مصر بسرعة ، وتفرق الدعاة فى مختلف الأنحاء اتقاء المطاردة به ، ولكن الدعاة ألفوا فى هذا الظرف ذاته مستقى جديداً لدعوتهم ؛ فقد اختفى الحاكم ولكن إلى رجعة ؛ وليس على المؤمنين أن يعرفوا أين اختفى وكيف اختفى ؛ ولكن عليهم بالصلاة والاستغفار حتى يرضى عنهم ، ويعود إليهم عند ما تحل الساعة ، ذلك لأنه اختفى غضباً عليهم لما أمعنوا فيه من الآثام والخطايا ، ولن يظهر إلا عند ما تصفو قلوب المؤمنين وتصفو نياتهم ؛ وفى هذا الاختفاء ذاته ، دليل ساطع على ألوهيته وخارق قدرته ، وهو فى السماء أو فى الأرض روح بلا جسم ، يشرف على عباده « وإنه ليراهم من حيث لا يرونه » !

هذا وقد مضى إلى اليوم على مصرع الحاكم تسعمائة وخمسة عشر عاما ، ولا يزال الموحدون يؤمنون برجعته ويرقبونها ؛ ولم يقل لنا الدعاة أنى ومتى تكون هذه الرجعة من عالم الأبدية ، وكل ما هنالك أن حمزة يقول للمؤمنين فى رسالته الشهيرة ، « إنه متى أطلت عليهم رحمة الله خرج ولى الله إمامهم باختياره راضياً عنهم ، حاضرا فى أوساطهم . . » ويكرر الدعاة هذه الاشارة الغامضة إلى مثول الحاكم ورجعته فى رسائلهم ، ولا سيما رسالة الغيبة التى أشرنا إليها ، فيقولون : « إن مولاكم لا تخلو منه الدار وقد عدمته أبصاركم » ، « إن مولاكم يراكم من حيث لا ترونه » ، « أحسنوا ظنكم بمولاكم يكشف لكم عن أبصاركم ما قد غطاها من سوء ظنكم » ، وأمثالها من الاشارات والعبارات الرمزية